لم تقف الانثروبولوجيا في حدود مجالها الأكاديمي (دراسة الانسان واعماله) بما في ذلك مفهوم التربية (بوصفها محور النقاش) وانما التوسع في استراتيجيتها البحثية، اي الإثنوغرافيا، التي تباينت تعريفاتها ظاهراً وتوافقت ضمناً، اذ يعرفها بعض العلماء على انها في الاساس أسلوب معين أو مجموعة من الأساليب، تقوم على المشاركة علنا أو سرا، لحياة الناس اليومية ولمدة طويلة من الزمن، بمشاهدة ما يحدث، والاستماع إلى ما يقال، وعرض الأسئلة، وجمع البيانات المتاحة لعدد القضايا التي هي محور البحث والنقاش(Hammersly and Atkinson1989: p3) ، او انها اسلوب للبحث، موجه نحو مراقبة مكثفة لأفعال الافراد وتصرفاتهم الاجتماعية التي تتطلب تدخلا شخصياً ومباشراً (Agar, 1986: p7) ، او انها عملية البحث القائمة على العمل الميداني باستعمال مجموعة متنوعة من تقنيات البحث (الملاحظة، والمقابلة، وجمع الأشياء والمصنوعات اليدوية) والذي يتضمن المشاركة في الحياة اليومية التي تجري دراستها لمدة طويلة من الزمن، غايتها جمع البيانات الميدانية المفصلة لمجتمع البحث(Fetterman, 1989: p12)، وتجريبيا، هناك طريقتان للتمييز بين الدراسات الإثنوغرافية التي تركز على التعليم كموقع او مجال للتحقيق:

**أ:** **الإثنوغرافيا والدراسات الإثنوغرافية للتعليم**، اي استعمال علماء الانثروبولوجيا مفهوم التعليم كموضوع للدراسة الذي يمكن ان توظف فيه التوجهات النظرية والمفهومات والمناهج والادوات والفروع المعرفية الاخرى للأنثروبولوجيا الثقافية مثل حقل الثقافة والشخصية والايكولوجيا الثقافية وانثروبولوجيا المعرفة ودراسات التغير والاثنيات، ويعد الباحث المتخصص بالانثروبولوجيا الفاعل الاساس في هذا المجال...من اجل تفسير القضايا التي تواجه البشر في عمليات نقل المعرفة والثقافة من جيل الى اخر، وبذلك تصبح المدارس والمؤسسات التعليمية الاخرى والانماط والمعايير والتوقعات والأدوار والعلاقات المتداخلة مع المجتمع المحلي الاوسع مجالا للبحث. اي ان مهمة إثنوغرافيا التعليم هو لوصف ثقافة الطلاب الاجتماعية ودراستها وتحديد أنماطها الثقافية بما في ذلك القيم والمعايير والتقاليد والنظم والبناء العلائقي للحياة المدرسية اليومية وعمليات التحول والتغير التي يمر بها عند نقل المعرفة وما الجهات الفاعلة التي تشارك فيه، وما عوامل الدعم والتقييد التي يواجهها التعليم، ومن خلال التحليل، يحدد الإثنوغرافي المعايير والتوقعات والأدوار والعلاقات والحقوق والالتزامات العضوية في المجتمع أو الفصول الدراسية، أي النظر الى المدرسة بوصفها موقعا مادياً يمكن تشخيصه بالفعل او عيانا، والوصول الى ما يعرف بالنظرة الخارجية (Etic view).

**ب:** **الإثنوغرافيا والدراسات الإثنوغرافية في التعليم**: التي تستند إلى المعرفة المستمدة من ميدان التعليم والخلفية التاريخية للاثنوغرافيا، وان الفاعلين الأساس في هذا المجال، أولئك الشخوص العاملين ضمن هذا الحقل الأكاديمي، مثل المعلمين والطلاب والمدرسين والمربين، والمسؤولين، باستعمال الأدوات والمنظورات الإثنوغرافية لأغراض التربية والتعليم. يتميز هذا النوع بعدد كبير من الكتيبات عبر مختلف المجالات أو التخصصات في التعليم بما في ذلك مناهج التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، وآداب اللغة كالإنجليزية والفنون، والمعلمين، والمتداخلين معهم، وتعكس الزيادة في عدد المجلات والبحوث المنشورة المرتبطة بالتعليم، بما في ذلك الدراسات الإثنوغرافية للحياة اليومية في الفصول الدراسية وتنمية البحوث التربوية وتطوير قاعدة معرفية لحقل التربية والتعليم التي أسهمت فيها الدراسات الإثنوغرافية مساهمة كبيرة، ثم استناد التعليم الى قاعدة شاملة للمعارف التي تتضمن العمل على أساس مجموعة متنوعة من التخصصات. تتضمن هذه الهيئة من العمل دراسات التعليم والعمليات التعليمية والممارسات للميادين الأخرى، وكذلك دراسات في التعليم التي كثيرا ما تعتمد على المعرفة من هذه التخصصات والمجالات الأخرى، وهذا ما يمكن وصفه اصطلاحا بالنظرة الداخلية (Emic view).

 غالباً ما يتعاون علماء التعليم العاملين في مجال العلوم الاجتماعية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الانسان مع الباحثين والممارسين في مجال التربية الى استعمال أنواع كثيرة من المعرفة المتولدة ضمن فروع التعليم؛ وغالباً ما يستعمل العلماء العاملين في التعليم الأطر النظرية، وأساليب التحقيق والنتائج التي توصل إليها من التخصصات في مجالات علم الإنسان مثلاً او العلوم الاخرى. ويظهر التوجه المعاصر في الدراسات الى استعمال الإثنوغرافيا في التعليم بشكل أكبر مما هي للتعليم، والسبب في ذلك يعود الى التعامل مع المعلمين او الطلاب بوصفهم اثنوغرافيين.

 أيقن علماء أنثروبولوجيا التربية من ضرورة التخصص والتخصيص بشكل أكبر عند التعامل مع مفهوم التربية، فانشغل الرواد بالتصورات التي يحملها افراد المجتمع المحلي وعمليات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافي والنقل الثقافي لأساليب تربية الطفل (مثلاً) ورعاية الوالدين له ومكانة الاقرباء من ذلك... كما هو الحال في توجهات الاستاذ(B. Malinowski) لسكان جزر التروبرياند، وتوجهات الاستاذة (M. Mead) لسكان جزر ساموا، بينما اتخذ المعاصرين إثنوغرافيا التعليم مجالاً نظريا في المجتمعات الغربية، اي انتقلت انثروبولوجيا التربية وإثنوغرافيا المعرفة المحلية من المجتمعات التقليدية(البدائية)الى المجتمعات المعقدة(المعاصرة) ومن البيت الى المدرسة ومن الوالدين الى المعلمين ومن التلقين والتكريس الى التعليم الابتدائي والثانوي ومن غير الرسمي الى الرسمي ومن النقل الثقافي الى نقل المعرفة ومن الدرجة العمرية الى الفئة العمرية ومن العرف والتقليد الى القانون والجزاء ومن المواسم والفصول الى الساعات والأيام ومن الزي الشعبي التقليدي الى الزي الرسمي التجديدي...

اذ توضح المقاربة البسيطة أعلاه التوجهات الأنثروبولوجية المعاصرة عند التعامل مع مفهوم التربية بوصفها مجالاً للعمومية والتوجه نحو الاستراتيجية الإثنوغرافية عند التعامل مع التعليم بوصفه الأكثر خصوصية. وهناك علاقة ثلاثية تربط التعليم بالإثنوغرافيا، والإثنوغرافيا بالأنثروبولوجيا، وأخيراً الأنثروبولوجيا – التي تعد أساس النظرية والعمل البحثي التي توجه اهتمامها الى جوانب متعددة من الثقافة - بالتربية. هذا يعني ان ينظر غالبية العاملين في مجال التربية الى التعليم بوصفه عملية لنقل المعرفة(knowledge transmission)، وفي ذلك إشارة الى المنطق الذي تقاسمه الاستاذ (C.Harrington) وعلماء آخرينللباحث العامل في مجال التربية المتدرب أنثروبولوجيا، من انه ينبغي معاينة التربية بوصفها عملية للنقل الثقافي ايضاً(cultural transmission).

 وتطالب الأنثروبولوجيا زيادة الفحص لعملية نقل الثقافة في المجتمع المحلي، ضمن الأطر المؤسسية الواضحة المعالم مثل رياض الاطفال والمدرسة، وبتوجهات نظرية ضخمة التي تستدعي الاستفهام عن اليات نقل المعرفة وعمليات التوجيه والدعم والتطوير والتنفيذ الموجبة عند اجراء او القيام بأي بحث إثنوغرافي. لذا يناقش الاستاذ(D. Hymes) هذه المسألة وفقا لمفهومين أساسيين هما: الدراسات الإثنوغرافية على المستوى الجزئي (micro-ethnography) والدراسات الإثنوغرافية على المستوى الكلي (macro-ethnography) تشير **الأولى** الى الدراسات المعنية بتعليم الأقليات الاثنية التي تركزت مبدئياً على العملية التي توضح كيفية انتقال المعرفة الاكاديمية والثقافية في الفصل الدراسي او الأوضاع الاجتماعية الأخرى للمدرسة، وقد تطور هذا الموقف من الدراسات بناءا على توجهات الأستاذ (G. Spindler) في دراسته للتعليم والعملية الثقافية عام 1974، وتوجهات الأستاذ (F. Gearing) عن دراسته للانثروبولوجيا والتربية عام 1976، اذ تم الاستناد بالأساس على مدرسة الثقافة والشخصية في الانثروبولوجيا.

 اما النوع **الثاني** فانه يوجه اهتمامه الى مناقشة العلاقة بين نظم البناء الاجتماعي والتعليم، أي تلك القوى الموجودة في البناء السياسي والسوسيو-اقتصادي للمجتمع من اجل توضيح سببية الوقائع التي قد تحدث في الفصل الدراسي كالتنافس والتعاون والصراع... اذا كانت توجهات انثروبولوجيا التربية الأولى نحو اهتمام اقل بالمدرسة على حساب نسق التراتبية الاجتماعية(social stratification) الذي اكتسب الاهتمام الأكثر، وقد ظهرت أولى التوجهات في دراسة الاستاذ(L. Warner)التي اثارت التساؤل الاتي: من الذي يجب تعليمه؟ تحديات عدم تكافؤ الفرص عام 1946، ودراسة الأستاذHollingshead), (A. B عن شباب التقاطعات في ولاية تكساس، وتأثير الطبقات الاجتماعية على المراهقين عام 1949، اذ حاولت هذه الدراسات ان توضح كيف تعمل المدرسة في مجتمع معقد لفرز وتجنيد الطلاب لأجل المكانات المختلفة، والأدوار والطبقات الاجتماعية. ثم تحولت الدراسات المستعملة لهذا المنهجية نحو التركيز على المدرسة ولكن تركيزها أيضا على المجتمع المحلي كالبيوت والمكاتب والأماكن التجارية (Kahn 1992: pp24-25).